الحج مرآة التاريخ البشري

رؤيا الدكتور شريعتي للحج

٤-١

د. عبدالجبار الرفاعي

ان استيعاب مضامين الحج يتوقف على معرفة النبي ابراهيم عليه السلام. بل ان اكتشاف الأديان السماوية. وهكذا دين الاسلام. لايمكن ان يتحقق من دون التعرف على روح دين ابراهيم. ونمط((الثقافة الابراهيمية)). ذلك ان ابراهيم هو ابرز داعية للتوحيد في التاريخ. فهو الذي حطم الأوثان. وشيد الكعبة المشرفة. وسواها من معالم التوحيد في الأرض. وباتت مسيرته وخطواته ومفهوماته تطبع دعوة التوحيد. وتظل حية. فاعلة. لاتنضب روافدها. ولاتضمحل أوتذبل أبدا.(١)

هذا ما يقوله الدكتور علي شريعتي. ويشدد عليه في مواضع مختلفة من آثاره. معتبرا وعي الدور الابراهيمي في حياة البشرية مدخلا أساسيا لدراسة رحلة البشرية الطويلة. وأديانها الكبرى.كما يعتقد بأن الحج مرآة يتجلى فيها تاريخ الانسان. عبر ممثلين تنتخبهم السماء. بدءا بآدم. وابراهيم واسماعيل. ثم محمد عليهم السلام.(٢)

علي شريعتي

وحيث ترتسم خطاهم في البيت الحرام والمشاهد المشرفة في مكة المكرمة. نعانق مسارا آخر للانسان.طمسته مدونات المؤرخين. ولم تتحدث عنه بقايا الحضارات التليدة. وآثارها.

ويحاول شريعتي صياغة ((فلسفة تاريخ)) محورها حركة الأنبياء. وابراهيم خاصة. وتجربته الايمانية العميقة. وطبيعة المنعطفات المهمة في حياته. لاسيما الحقبة المكية منها. التي تضافرت جهوده فيها مع زوجه هاجر. وولده اسماعيل.

البيئة الثقافية لشريعتي

ولد شريعتي في قرية ((مزينان)) التابعة لمدينة مشهد في خراسان سنة,١٩٣٣ وخراسان بحكم موقعها الجغرافي. وتاريخها. والسياقات الثقافية والاجتماعية لها. بمثابة عالم مصغر للحياة الدينية في ايران.

اما والد شريعتي فهو محمد تقي. أحد أساتذة التيار الاسلامي المستنير في ايران. انخرط شريعتي الأب في الحوزة العلمية في مشهد سنة ,١٩٢٨ وعمل فيما بعد معلما في مدارسها الثانوية. واهتم بتأسيس منتدى ثقافي اسلامي، يعنى باحتضان الشباب ورعايتهم. وتعليمهم حقائق الاسلام. ويتلمس لهم سبل مواءمة الاسلام مع العصر. والتغلب على الاشكالات. والاجابة عن مايتوالد لديهم من اسئلة لاهوتية جديدة. لم يألفها علم الكلام أوالفقه من قبل.

وقد تمحورت حول محمد تقي شريعتي نخبة من الشباب، ممن كانوا يدرسون في الجامعة والحوزة العلمية في مشهد. وطفقوا يبحثون عن معلم أومرشد ينفتح على أفكارهم، ولا تستفزه استفهاماتهم. ولا تفزعه رؤاهم النقدية للتراث والواقع. فكان شريعتي الأب يحاول ان يصغي اليهم باهتمام. ويقدم لهم تفسيرا للقرآن. لايكرر آراء السلف. ويوظف بعض مكاسب العلم الحديث في استنطاق النص. ويسعى لوصل الواقع بالقرآن. والقرآن بالواقع. متجاوزا ماراكمه المفسرون من قطيعة بينهما. بعد اغراق المفسرين مصنفاتهم بمباحث لغوية بيانية. ومفاهيم كلامية ميتافيزيقية. تتحدث عن عوالم الملكوت. فيما تهمل الانسان وهمومه في الأرض.

في هذه البيئة العائلية نشأ علي شريعتي. وترعرع في المحيط الثقافي الذي شكله والده. واتسع ليضم جماعة من طليعة الاسلاميين في مشهد. وتدرج في مراحل الدراسة. وظهرت مبكرا موهبته. وتفتقت عقليته النقدية. وروحه المتوثبة. عندما كان طالبا في المرحلة الثانوية. فانحاز للتيار الوطني الذي تزعمه الدكتور محمد مصدق. سنة ,١٩٥٤

وفي عام ١٩٥٥ دخل كلية الآداب بجامعة مشهد. وتخرج فيها بدرجة امتياز في اللغة والأدب الفارسي سنة ,١٩٥٨ ثم واصل دراسته في جامعة باريس. وحصل على الدكتوراه في علم الاجتماع. ودكتوراه اخرى في تاريخ الأديان. سنة ,١٩٦٣

وكانت أيام باريس اخصب فترة في تكوينه الفكري. ونشاطه السياسي. فقد درس الاتجاهات الفكرية الراهنة في فرنسا والغرب. وتعلم على يد بعض المفكرين المعروفين ذلك الحين في باريس. وتعرف على آخرين ممن لم يتلمذ عليهم. وظل مثابرا على التواصل معهم. كما تعززت علاقاته بالثوار الجزائريين. واشترك في نشاطاتهم. وارتبط بعلاقة مع المفكر والمناضل فرانتس فانون. الذي ترجم للفارسية شيئا من كتابه ((معذبو الأرض)). وفي عام ١٩٦٤ عاد الى ايران. فسجن لمدة ستة أشهر. بسبب مساهماته في نشاطات مناهضة للشاه خارج ايران.

ومنذ سنة ١٩٦٦عمل استاذا مساعدا لمادة ((تاريخ الاسلام)) في جامعة مشهد. وتعرض في السنوات التالية للمراقبة والملاحقة من الشرطة السرية. واعتقل مرات عديدة. وفصل من عمله. ومنع من ان يحاضر أويشارك في ندوات. ولبث في السنتين الأخيرتين من حياته في وطنه تحت مراقبة مكثفة. أعاقت حركته. فاضطر للهجرة الى لندن. وتوفي هناك في السادس من حزيران ١٩٧٧ بعد فترة وجيزة من وصوله، وأحاطت بموته ظروف مبهمة غامضة. تنوعت تفسيراتها. ودفعت انصاره ومريديه للقول بتدبير السافاك مؤامرة لقتله.

لقد كان شريعتي الأب المعلم الأول لشريعتي الابن. فكانت رؤيا الأب الحرة الجريئة تضيء عقل الابن. وتوقد وعيه. وتقحم تفكيره حقولا لم يفكر فيها من قبل، مضافا الى التحاق علي شريعتي في مطلع حياته بالصراع السياسي. واصراره على مواصلة الدرب فيما بعد. واطلاعه على التراث. وتخصصه في علم الاجتماع ومقارنة الأديان. وعلاقاته المميزة مع مجموعة من المفكرين. وسعيه الحثيث لمواكبة معطيات الدراسات الانسانية في الغرب. كل ذلك أتاح له امكانات. ومنحه مهارات مميزة في دراسة المجتمعات الاسلامية. والانطلاق من مجتمعه والظواهر السائدة فيه. كنموذج لدراسة الاجتماع الاسلامي.

علم اجتماع الدين

يمكن القول ان علي شريعتي كان من أبرز خبراء ((علم اجتماع الدين)) في العالم الاسلامي، في العقدين السادس والسابع من القرن العشرين. ذلك ان آثاره. بما تشتمل عليه من كتابات ومحاضرات. تعالج قضايا ترتبط بشكل مباشر أوغير مباشر. بهذا الحقل.

ولعل التكوين العلمي لشريعتي هو الذي وفر له عدة معرفية لخوض مغامرة البحث في هذا الحقل. الذي كان وقفا على المستشرقين. والباحثين الغربيين المهتمين بالاجتماع الاسلامي.

وعندما نعود الى تراثه نجده يستعير جملة ادوات منهاجية، وأفكارا حديثة، من مفكرين فرنسيين وألمان. فقد تأثر برؤى ريمون آرون. وجاك بيرك. وهنري كوربان. وفرانتس فانون. وروجيه غارودي. وجورج كوروتيش. ولويس ماسينيون. وجان بول سارتر. والبير كامو.

وترد في كتاباته اشارات الى: هيغل. وماركس. وهوسرل. وياسبرس. وهايدغر. وماركوزه. تدلل على ان لمناهج ومفاهيم هؤلاء المفكرين تأثيرا بالغا في صياغة عقليته ونسقه الفكري .

لقد استعار شريعتي بعض آراء المثالية التاريخية لهيغل. كما أخذ من ماركس ((البناء التحتي والفوقي، والصراع الطبقي. والايديولوجيا. والاغتراب)). واقتبس فكرة ((سجن الذات)) من هايدغر. وعممها الى ما أسماه ((السجون الأربعة)) بعد أن ضم اليها: سجون ((الطبيعة. والمجتمع. والتاريخ)).كذلك استفاد من ظاهريات هوسرل(٣) واهتم بسارتر. وأفاد من وجوديته في تحليل بعض الظواهر. كما حاول ان يتوكأ على فكرة الاعتراض التي قررها البير كامو، بقوله: ((انا اعترض. اذن انا موجود)). يكتب شريعتي ((انني اتخذت من كلمة البير كامو هذه درسا لحياتي. على أساس نفس الرسالة والمسؤولية الصغيرة التي أحس بها، بالنسبة لوعيي واحساسي وعقيدتي)).(٤)

لقد استقى شريعتي ادواته التحليلية من علم الاجتماع. وعلم الاقتصاد، وفلسفة التاريخ. والانثروبولوجيا. والميثولوجيا. وهيمنت على عقله الفلسفة الاجتماعية الفرنسية والألمانية اكثر من سواها. لكنه ظل أقل تعاطيا مع مقولات الفلسفة والآراء الفلسفية. ربما بسبب تخصصه ودراساته في الاجتماع ومقارنة الأديان.

وكان يدرك انه اجترح دربا لم يمهد من قبل لدى الدارسين في ديارنا. فالدراسات الاسلامية في الحواضر العلمية المعروفة. وكليات الدراسات الشرعية تستعين بالمناهج والأدوات الموروثة، ولاتتقن، وربما تخشى، التعاطي مع مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة.

إنه يحلم، او يلعب، او يموت

أحمد سعداوي

أنا سائق التكسي. طبعاً يمكن الافتراض أنني صباغ الاحذية في الباب الشرقي، او عامل الكبة في المعامل الخلفية لعلوة جميلة. أنا ضابط متقاعد بعد ان تحلل الجيش كيمياوياً وعاد الى عناصره الاولية: رجال، وارض، واسلحة تلاشت او تحولت الى خردة غير مفيدة. ولكني لم اختر ذلك. لا اعرف من الذي قال: (المهنة تختار صاحبها)، لذا انا سائق التكسي التي اختارتني، أليس كذلك؟!

❖ ❖ ❖

ولكن، لماذا اغامر. انا لا افهم هذه الكلمات، انها تضبب الرؤية امامي، مثل مطر شديد على الزجاجة الامامية، في وقت لا تعمل الماسحات فيه.

أنا اعرف فقط العاهرات الفموية في زيونة وشارع السعدون، وهذا طبعاً ليس ذنبي، فانا غير قادر على فضح اسمي او منح اية معلومات لا يريدها اللسان الذي اتحدث به الان، والذي غدا لساني دون إرادة مني.

أنا اعرف فقط ان السابلة يختفون دائماً، وبحركة متسارعة، الى الوراء. العالم كله يرجع الى الوراء على نوافذ الابواب في سيارتي، وانا اتقدم. اطارات هانكوك الجديدة في سيارتي لا تعرف الاستدارة، حين تستدير، ولا تعرف شيئاً، انها تتقدم فحسب. تدور حول نفسها ابداً،

حتى عندما تتآكل ويتم التخلص منها، تبقى استدارتها المهملة اشارة للتقدم الممكن الذي مازال ينبض فيها.

❖ ❖ ❖

هل يفكر سائق له علاقة بالعاهرات الفموية بهذه الطريقة؟ لا اعرف. لأن حديثي يجري على لسانٍ غدا دون تدخل مني لساني الان.

ورغم اني قد لا افهم الكثير مما سأقول، ولكن هذا لا يهم، لأن عليّ التقدم فحسب، فسيارة الكرونا موديل ٨٢ هي التي اختارتني، وانا اتقدم معها، رغم ان التقدم غدا عسيراً، ولا يبدو الامر مفهوماً، فالكل يتحدث منذ رحيل الريس انا ارى السابلة يتقدمون، وسيارتي تنحشر دائماً في زحام طويل ومخيف. السابلة يتقدمون، الجنس البشري يتقدم للأمام دون معونة الآلة. آه.. رومانسية روسو. آخ.. أنا السائق المحب للعاهرات الفموية اتحدث عن روسو الان!

❖ ❖ ❖

لا ادري كيف تذكرت الواجبات الليلية المغموسة ببرد سيبيريا، هناك، في عراء الحدود مع إيران، حين اضطررت للمبيت ببطانية وبراد شاي خلف مئة وثلاث وستين سيارة، كانت مصفوفة امام سيارتي عند محطة وقود (ابو قلام) في الكرادة.

الغريب أنني استفدت كثيراً من قاموس خدمتي العسكرية في هذه الايام التعبانة. لقد قال لي ذلك الشاب الذي ركب معي في تلك الليلة من مدخل شارع الكفاح اننا نسير في حقل ألغام، واعجبني ذلك، رغم اني نذرت أن اذبح خروفاً أمام ضريح العباس لو سلمني الله من حكاية حقول الالغام إبان الثمانينيات. انني اتقدم الان، وبطريقة مقلقة، داخل حقل إلغام حقيقي، أو أمر في كثير من الأحيان بجوار سيارة نسفتها هذه الألغام الغامضة، وحولتها الى ما يشبه صفيحة مجعلكة ومحروقة.

❖ ❖ ❖

لم افكر أنني في يوم ما، ونتيجة اصراري على التقدم، سأتحول الى عصف مأكول. ولكني في ثمانينيات العبث البعثي كنت ارى بوضوح، فليس عليّ "شوف الفايخ" إن اردت النجاة من الألغام، سوى مغادرة هذه الحدود الجرداء والعودة الى المدن، مدينتي، او أية مدينة تختارها القيادة الحكيمة.

ولكن، سأغادر ماذا، للنجاة من هذه الألغام هنا ؟! آه.. اللعنة عليك يا روسو، علينا التقدم للأمام ومغادرة المدن إذن !.

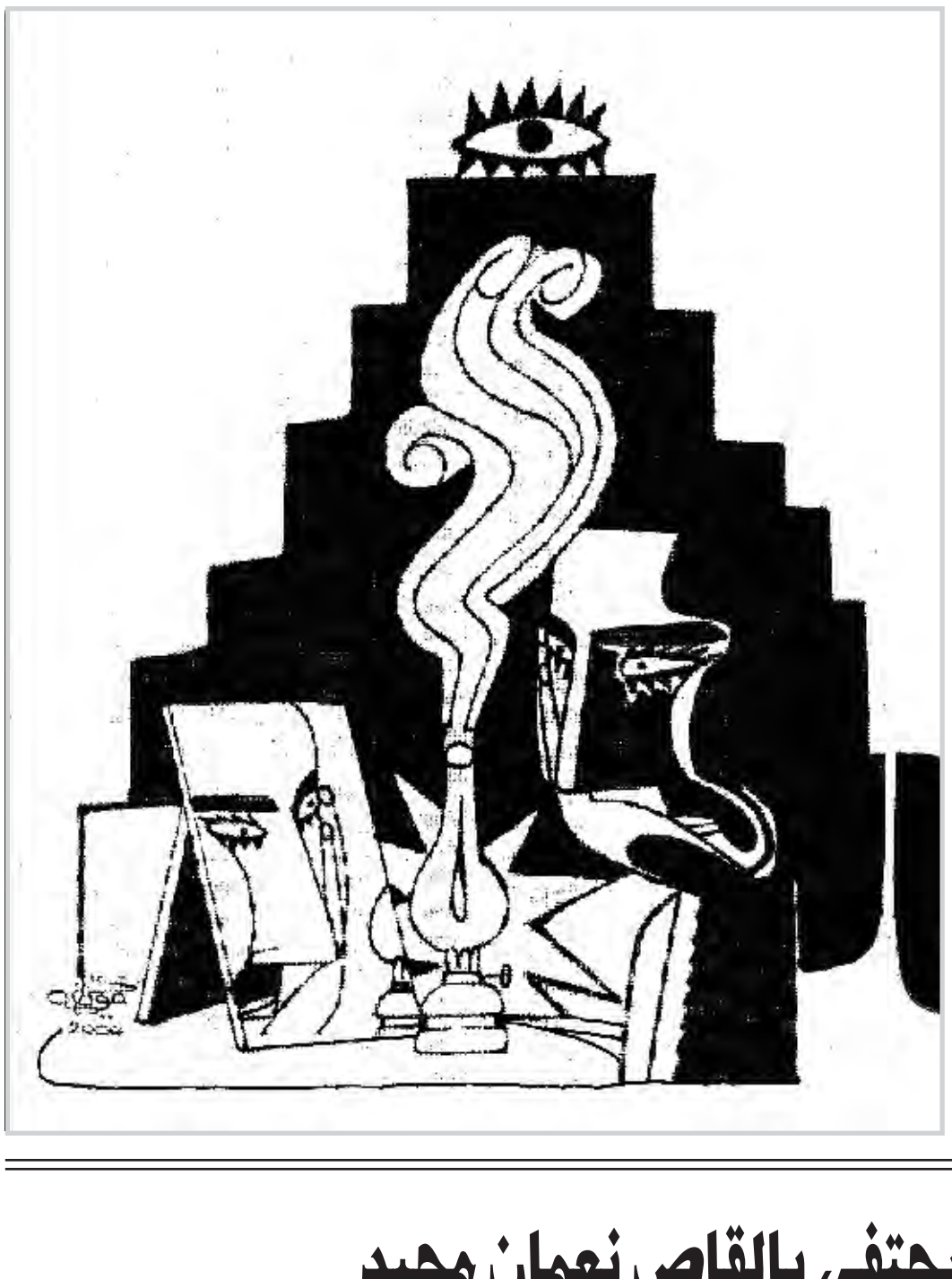

في الذكرى العاشرة لرحيله.. اتحاد الادباء يحتفي بالقاص نعمان مجيد

متابعة : علي الاشتر

اقام الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق – نادي القصة- جلسة ثقافية الاسبوع الماضي، احتفى فيها بالقاص والروائي المبدع الراحل (نعمان مجيد) لمناسبة الذكرى العاشرة لرحيله، وادار الجلسة الروائي احمد خلف، وشارك فيها عدد من الادباء العراقيين.

افتتح الجلسة الروائي أحمد خلف بكلمة جاء فيها: (نلتقي اليوم لا لنتذكر احد مثقفينا.. بل لنقرأ جانباً من منجزه الادبي والقصصي والروائي ايضاً، و ان الراحل نعمان مجيد لم ينل أدبه الخطوة اللازمة وانه لم يدرس كفاية وهو القاص الروائي الجاد الذي انشغل طيلة حياته في تنقية السرد القصصي لديه من شوائب الميوعة والترهل القصصي او الاستطالات والثرثرة غير المجدية.. لقد كان من ميزته عدم التطبيل لفنه –بل كان يرى في انجازه القصصي عبارة عن جهد خاص يبذله من اجل كتابة نص عراقي مغاير للذي كان سائداً في تلك الحقبة من تاريخنا الادبي.. كان نعمان مجيد مثالاً يحتذى به بيننا كنموذج يندر ان يكرر من نكران الذات والتأمل والمعرفة).

اما الشاعر حسين الجاف فقد قدم رثاءً مؤلماً عن القاص والروائي الراحل استذكر فيه جانباً من العلاقة الحميمة التي كانت تربطهما معاً (لم يخسره اهله لكن خسرته انا، فقد فقدت برحيله اخاً كبيراً كريماً وصديقاً عزيزاً مبدعاً لطالما غمرني بالطاف محبته، وافاض عليّ برصانة نصائحه وتحليلاته وتوقعاته للاحداث، وكانت جميعها مطابقة للصواب)، واكد في ختام مرثيته على ان الراحل نعمان مجيد كان يكتب عبر معايشته للاحداث والشخصيات والسياقات التي يحيون فيها، وان هذا هو احد اسرار نجاح قصصه.

وقدم الباحث والناقد الاستاذ ناجح المعموري قراءة نقدية لرواية العائد من الربع الخالي والتي ظهرت بعد رحيل نعمان مجيد، تحت عنوان (السحر والاسطورة في رواية العائد من الربع الخالي للقاص نعمان مجيد)، ومما جاء فيها (انطوت رواية العائد من الربع الخالي على كشوف سردية اجد بانها ضرورة فنية في عمل نعمان مجيد ورسمت اطاراً خاصاً به، وان تجاور مع غيره من القصاصين، لكنه كان اكثر حساسية في وعي الهم الاجتماعي، واستثمار الموروث الشعبي والاسطوري ومحاولة صياغتها برؤية سردية جديدة، اجرت فرزا وعزلا للثانوي وكرست الجوهري في المتوارث.. وانشغل في وسط اعماق اليومي / الاجتماعي عن علاقات تبدو مألوفة ومعروفة لكنه جوهرها وجعل منها رموزا..)

ثم قرئت ورقة القاص والناقد الاستاذ جاسم عاصي، المعنونة ((قصر العاشق وطفولة القاص نعمان مجيد))، اكد فيها على ان التجريب في اعمال نعمان مجيد القصصية والروائية يعتمد على بنية فكرية تجاه الحياة أولاً وتجاه جماليات النص القصصي ثانياً والاهتمام بخصائص المكان الخاصة والعامة، البيت والمحلة، لكنه حافظ على وحدة الموضوع المطروح من خلال النص، وقد اعتبر ان نص قصر العاشق هو خطوة في تعميق هذا المنحى، والورقة مستلة من دراسة مطولة عن مجموعة الاعوام الحجرية للقاص الراحل.

واستذكر الاديب الاستاذ محمد سعدون السباهي، بعض ذكرياته مع الاديب الراحل وعلاقة الصداقة التي ربطتهما لعقود من الزمن والرفقة الفكرية والثقافية التي اتسمت بالتحول والاكتشاف والتمرد على القناعات التقليدية في الثقافة الفكرية والسياسية التي كانت سائدة وطاغية في السبعينيات من القرن الماضي.